الضغوط الاستعمارية على المغرب ومحاولات الاصلاح

تقديم اشكالي : شكل القرن 19 منعطفا خطرا في تاريخ المغرب حيث أصبح محط أطماع القوى الأوربية، التي استغلت تفوقها العسكري والاقتصادي لممارسة ضغوطات متوالية على المغرب. ولمواجهة هذه التطورات المستجدة قام المخزن بعدة محاولات إصلاحية إلا أن الاستعمار حد من فعاليتها وأدى إلى إفشالها .

–فما مظاهر الضغوط الاستعمارية على المغرب؟ و ما هي آلياتها وآثارها على المغرب؟ –وماهي الاصلاحات التي قام بها المخزن المغرب؟ وماذا كانت حصيلتها؟

I مظاهر الضغوط الاستعمارية على المغرب في القرن 19م.

1) الضغوط العسكرية.

أ- معركة اسلي 1844 ضد فرنسا:

* بعد احتلال الجزائر من طرف فرنسا1830، حاول المغرب مساعدة المقاومة الجزائرية، فدخل في مواجهة حربية مع فرنسا انتهت بهزيمة المغرب في معركة اسلي14 غشت 1844 (شرق تازة)، لقلة عدة الجيش المغربي وعدم تنظيمه وتخاذل عناصره في مواجهة جيش عصري متطور ومنظم.

⇦ * وقد كشفت هذه الهزيمة عن ضعف المغرب عسكريا وأرغمته على توقيع معاهدة للامغنية في مارس 1845 مع فرنسا، التي تضمنت مجموعة من القرارات القاسية، و منها ترك الحدود بين المغرب والجزائر مبهمة، لتسهيل أي تدخل مستقبلي للفرنسيين. إضافة إلى أنها مكنت فرنسا من اقتطاع جزء كبير من التراب المغربي وضمه إلى مستعمرتها(الجزائر).

ب- حرب تطوان 1860/1859 ضد إسبانيا:

* استغلت اسبانيا المناوشات التي دارت بين أبناء قبيلة الأنجرة و رعاياها في سبتة على اثر توسيع اسبانيا لحدود سبتة المحتلة، لتشن على حربا على تطوان سنة 1860/1859. أسفرت هي الأخرى عن هزيمة المغرب مرة ثانية، وقد كانت ابلغ اثر من سابقاتها بحكم أنها انتهت بمعاهدة صلح تضمنت شروط أكثر قساوة على المغرب، و منها:

– إثقال كاهل خزينة المغرب بغرامة مالية قدرها 20 مليون ريال، استنزفت بيت مال المخزن وقلصت موارده طوال القرن 19م.

– توسيع حدود سبتة و مليلية. وتنازل المغرب عن بعض أراضيه في الجنوب.

⇦ نستنتج إذن أن الآلية العسكرية كانت حاسمة في تنشيط الضغط الاستعماري وزعزعت هيبة المخزن المغربي. مما دفعه الى تقديم تنازلات ترابية وتنازلات تجارية، وغرامات مالية

2) الضغوط الديبلوماسية:

أ- الضغوط الديبلوماسية التجارية:

* نجحت الدول الأوربية في ممارسة الضغط الديبلوماسي على المغرب للحصول على مجموعة من الامتيازات التجارية. كانت أبرزها الاتفاقية التجارية المنعقدة في 9 يناير 1856 مع بريطانيا، والتي نصت على جملة من البنود المجحفة في حق المغرب و سيادته. إذ منحت الإنجليز حق الإقامة، التنقل، المتاجرة في كافة السلع، حتى المحرم منها مثل الخمر و التبغ. مع تسهيلات في أداء الرسوم الجمركية.

* كانت لهذه المعاهدة نتائج سلبية حيث أغرقت الأسواق المغربية بالمنتجات الأوربية، ما أدى لإفلاس التجار والحرفيين المغاربة، ونضوب السلع الحيوية في السوق المغربية. كما أن تواجد التجار الأجانب ساهم في رصد أحوال البلاد والتعرف على مكامن ضعفها.

ب- الضغوط الديبلوماسية السياسية:

* عملت الدول الاستعمارية على إغراق المغرب في اتفاقيات أخرى تنتمي للشق السياسي. حيث وقع مع فرنسا تسوية بيكلار سنة 1863م، التي خولت الفرنسيين امتياز الحماية القنصلية، أي منح الرعايا المغاربة المتعاملين معهم حماية تحررهم من أداء الضرائب و المثول أمام القضاء المغربي. فصارت بذلك وسيلة لتفكيك المجتمع المغربي، ووسيلة لنشر النفوذ الاجنبي ومؤثراته داخل البلاد.

* وفي سنة 1880 انعقد مؤتمر مدريد الذي كرس نظام الحماية القنصلية، وعممه لفائدة بقية الدول الأوربية ورسخ الامتيازات الممنوحة للأوربيين، بل وأعطى الاجانب حق امتلاك الاراضي والعقارات في المغرب.

استعملت الدول الأجنبية كذلك الآلية الدبلوماسية لانتزاع مزيد من المصالح الاقتصادية والسياسية اضرت كثيرا بسيادة المغرب ومهدت لاستعماره.

II محاولات الاصلاحات بالمغرب خلال القرن 19م: المجالات والحصيلة.

مجالات الاصلاحات:

–الاصلاحات العسكرية.

* حاول السلاطين المغاربة خلال القرن 19م القيام بإصلاح الجيش، الذي ظهر وهنه الكبير من خلال هزائمه المتوالية أمام الجيوش الأوربية. وكان من جملة هذه الإصلاحات:

– تكوين جيش مغربي نظامي يخلف قبائل "الكيش" و جيش "عبيد البخاري" و باقي الجيوش الأخرى التقليدية. – إرسال بعثات طلابية للتكوين العسكري في الخارج، وجلب بعثات عسكرية أوربية خاصة من فرنسا(إركمان) و بريطانيا (ماكلين). لتأطير وتدريب الجنود المغاربة وتعويدهم على استعمال الأسلحة العسكرية المستوردة. – اقتناء أسلحة وقطع حربية من الخارج خاصة في المجال البحري الأسلحة، إضافة إلى إنشاء معامل لإنتاج الأسلحة خاصة بمراكش وبفاس.

–الاصلاحات الادراية و الاقتصادية.

* بإيعاز (أمر) من بريطانيا قام المغرب بعدة إصلاحات إدارية كان أهمها:

– إصلاح الجهاز المخزني بإنشاء عدة وزارات تشرف على أمور الدولة الداخلية والخارجية (الحربية، العدل، الخارجية...). – إصلاح نظام السلطات المحلية بإحداث قيادات صغرى والحد من نفوذ القياد الكبار...

*كما قام السلاطين المغاربة(المولى محمد وابنه المولى الحسن) بإدخال مجموعة من الإصلاحات على الاقتصاد المغربي و ذلك من خلال :

– الاهتمام بزراعة السكر والقطن، واستيراد الآلات الضرورية لتصنيعهما محليا. – تطوير البنية التحتية (القناطر، الموانئ، والتجهيزات الفلاحية والصناعية...).

– الاهتمام بالأسواق التجارية وتنشيط المبادلات. واستغلال المناجم. .

ج)- الاصلاحات المالية:

– إصلاح شؤون المراسي بتخصيص أجر شهري لأمناء المراسي، ثم تعميم هذا النظام فيما بعد على باقي موظفي الدولة.

– فرض مجموعة من الضرائب والمكوس ومحاولة تحصيلها بشكل نقدي، ثم محاولة ضريبة الترتيب من طرف السلطان المولى الحسن سنة **1884**، كضريبة واحدة.

–كما حاول كل من المولى سليمان، وبعده محمد بن عبد الرحمن ضبط قيمة الريال ومساواته مع سعر العملات الأجنبية المتداولة بالمغرب، إلا أن المولى الحسن توصل الى نوع من التجديد وذلك بسك عملة جديدة في باريس **1881** .

د)إصلاح التعليم:

–إدخال المطبعة سنة **1865** من طرف الفقيه الطيب الروادايي. – إنشاء السلطان المولى الحسن أول مدرسة لتكوين الطلبة المهندسين، والاهتمام بتدريس مختلف المواد: الحساب، الهندسة، اللغات... –إرسال بعثات طلابية للخارج على نفقة المخزن لإكمال دراستهم العليا.

2)حصيلة الإصلاح:

رغم تعدد مجالات الإصلاحات المغربية خلال القرن**19**م، إلا أنها فشلت بفعل عوامل متعددة نذكر من أهمها:

–الكلفة المالية للإصلاحات والتي أسقطت المغرب في دوامة الإقتراض.– عرقلة الأوربيين للإصلاحات المغربية بحكم أطماعهم المبيتة في السيطرة على المغرب.

– التردد في قبول الاصلاح من قبل العديد من المغاربة المتمسكين بامتيازتهم التقليدية سواء داخل الجيش أو في الإدارة أو في المالية أو المحميين.

– موقف بعض الفئات المحافظة (العلماء) التي اعتبرت الاصلاح بدعة نظرا لثقافتها التقليدية وغياب فكر إصلاحي تجديدي لديها.

خاتمة : لقد كشفت مرحلة الضغوط الاستعمارية على المغرب خلال القرن **19** هشاشة البنية الداخلية من جهة، وتفوق الآلة الأوربية على كافة المستويات عسكريا ودبلوماسيا واقتصاديا، فكان من الطبيعي انتظار سقوط البلاد في القبضة الاستعمارية، لا سيما وأن المحاولات الاصلاحية كانت جد محدودة.

شرح المصطلحات :

الضغط الاستعماري: عملية نفذتها الدول الإمبريالية بالوسائل العسكرية والديبلوماسية والتجارية خلال القرن **19**م لإضعاف المغرب والتمهيد لاحتلاله.

الامتيازات الأوربية: حقوق وضمانات حصلت عليها الدول الأوربية داخل المغرب خلال القرن **19**م، ومنها حق المتاجرة والتملك ومنح الحمايات الفردية للمغاربة.

إصلاحات المخزن: تدابير قام بها المخزن المغربي خلال القرن **19**م لإخراج المغرب من أزماته الناتجة عن الضغوط الاستعمارية، ورغم شموليتها لمجالات عسكرية واقتصادية وإدارية.. فقد كانت محدودة في نتائجها.